بسم الله الرحمن الرحيم

خطبتا الجمعة بعنوان :

"الصبر على الابتلاء بالخير والشر"

للدكتور / أحمد بن علي علوش مدخلي ، خطيب مسجد الوالد / علي علوش - رحمه الله -

وإمام جامع أحمد علوش بالركوبة

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ} [آل عمران:102]

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا} [النساء:1]

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:70-71]

أما بعد ... فيقول الله جل وعلا {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ*ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ*أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ}[1]

هذه الآية آية عظيمة تبين أن الإنسان معرض للاختبار و أنه إذا تحلى بالصبر فإن الله جل وعلا سيجزيه الأجر وسيثيبه عاجلاً أو آجلاً والبلاء "الاختبار" ولهذا قال الله جل وعلا {وَلَنَبْلُوَنَّكُم} أي يمتحن الإنسان في هذه الدنيا والامتحان يكون بالخير والشر فسيبتلى بالخير ليعلم شكره ويبتلى بالشر ليعلم صبره و من أجل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"[2]

---

[1] سورة البقرة 155-157

[2] رواه مسلم جـ2295/4 كتاب الزهد والرقائق باب 13 "المؤمن أمره كله خير" رقم الحديث 2999

وقال الله جل وعلا {وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ}[3]

فالابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير فالله جل وعلا يبتلي الإنسان بزيادة ماله أو كثرة أولاده أو بقوة عشيرته أو بسعة أملاكه ليختبر الله جل وعلا فينظر شكره على ذلك .

ولهذا قال الله جل وعلا {ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ}[4]

فالواجب على المؤمن أن ينتظر هذا الابتلاء فإذا أصيب به فعليه أن يحمد الله جل وعلا و أن يشكره إن كان خيراً وعليه أن يصبر ويطلب من الله جل وعلا العوض إن كان ابتلي بمصيبة ، ومن أجل هذا قال الله تعالى {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ} والخوف يشمل الابتلاء بالخوف عند السرور كالخوف من الله جل وعلا فإذا رزقك الله تعالى خوفاً منه فاحمد الله تعالى واشكره على ذلك ، و أسأل الله تعالى ألا يداخل هذا الخوف الرياء فيحبط ذلك الابتلاء الذي منحك الله سبحانه وتعالى إياه .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف علينا الشرك الأصغر وهو الرياء ويقول :"أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر يقوم الرجل فيزين صلاته ليراه الناس أو كما قال صلى الله عليه وسلم" ، والخوف من العدو الذي يخاف قهره أو الخوف من الأسقام أو الابتلاءات أو الخوف من المعاصي أن يبتلى بها الإنسان وغير ذلك من أنواع الخوف ولهذا جاء به المولى جل وعلا عاماً بشيء من الخوف و الجوع يصيب الإنسان بسبب القحط الذي تبتلى به البلاد أو بسبب هلاك الأموال أو غير ذلك من الأسباب التي تورث الجوع أو حتى بالصيام كما ورد عن الإمام الشافعي تفسير الجوع بالصيام فهذا كله بلاء من الله جل وعلا فهو إن كان خيراً فينظر فيه شكر العبد على هذا البلاء و إن كان شراً ينظر فيه صبر العبد وفي هذا كله خير .

{وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ} تنقص أموال الإنسان بسبب الكساد أو الجوائح التي تصيبها أو بسبب التلف أو غير ذلك من الأمور التي يحصل بها نقص الأموال أو قد يكون بسبب الصد كما ورد في بعض التفسيرات لكن في هذا خير كما قال صلوات الله وسلامه عليه :"ما نقص مالٌ من صدقة بل يزيد بل يزيد"[5] ، فيتصور الإنسان أنه إذا تصدق من ماله بالصدقة الواجبة أو بالصدقة المندوبة ليعلم أن هذا بلاء من الله جل وعلا له ليشكره فينظر الله تعالى هل يشكر المنعم ، فلينفق مما جعله الله تعالى مستخلفاً فيه .

---

[3] سورة الأعراف 168

[4] سورة الحج 41

[5] الحديث رواه مسلم جـ2001/4 من كتاب البر والصلة والآداب باب (19) استحباب العفو والتواضع رقم الحديث 2588 عن أبي هريرة رضي الله عنه

أو أن يبتليهم بالبخل فيمنع هذا المال فيفقد درجة الشكر ، فعلى الإنسان أن يتأمل هذه الآية {وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ} ، نقص الأنفس بفنائها في الجهاد ، في الحوادث و في الأمراض التي يصاب بها الإنسان ، وعلى الإنسان أن يصبر وأن يشكر الله جل وعلا إذا ابتلى و أن يرجع إلى الله تعالى فالله سبحانه وتعالى يخلفه ، ومن أجل هذا قال الله سبحانه وتعالى {وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ} بشارة خير والبشرى هي اخبار الإنسان بما يسره ، يُخبر الإنسان بما يسره إذا صبر على البلاء أو الابتلاءات التي تلحق به من الخوف من الأعداء أو من الخوف على أهله وغير ذلك من أنواع الخوف ويصبر فيبشر بما أعد الله سبحانه وتعالى للصابرين عندما يلحق بهم من ألم الجوع ما يلحق و ما أعده الله سبحانه وتعالى للصابرين من الأمور الكثيرة التي أجملها الله سبحانه وتعالى بقوله {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}[6] ، لا يحاسب عليهم و لا يقال لهم جزاء صبركم كذا وكذا فيكرمهم الله جل وعلا أيما اكرام .

{وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ} بشارة للصابرين بهذه البشارة العظيمة و إرشاد لهم إلى ما يعينهم على الصبر و الإيمان بقضاء الله وقدره والفزع إلى دعاء الله جل وعلا وسؤال أن يجبر المصيبة التي ابتلي بها الإنسان لأي أمر كان فالله تعالى يخلفه .

{ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ} يقولون هذه الكلمة التي لها كل المعاني لا أقول معاني كثيرة ولكنها معنىً عام شامل في كل وقت وحين فالإنسان عندما يبتلى بالخوف يعلم أن ما كتب الله سبحانه وتعالى عليه سيصيبه وأنه خلق من خلق الله تعالى و أنه لن يُخلد في هذه الأرض بل سيعود إلى الله جل وعلا ، فهو يقول نحن خلق الله جل وعلا وإذا ابتلينا بشيء صبرنا وعدنا لإيماننا اليقيني لأننا راجعون إلى من أوجدنا "إنا لله وإنا إليه راجعون" كلمة عظيمة علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فصح في حديث صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"ما من مسلم يصاب بمصيبة ثم يقول إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أخلف الله عليه أو عوضه الله خيراً منها"[7] ، تقول أم سلمة رضي الله عنها راوية هذا الحديث : فلما توفي أبو سلمة قلت ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنا لله وإنا إليه راجعون" اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها فخلف الله تعالى عليها خيراً وتزوجها خير البشر رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وجاء في السنن عن أبي موسى الأشعري :"أن الله تعالى يقول لملائكته وهو أعلم عندما يموت ابن لعبد مسلم فيسألهم الله جل وعلا : قبضتم ولد عبدي ، فيقولون : يا رب نعم ، فيقول الله جل وعلا : ماذا عمل ؟ ، فيقولون : يا رب حمدك واسترجع ، حمدك فقال الحمد لله على قضائه وقدره و استرجع فقال هذه الكلمة "إنا لله وإنا إليه

---

[6] سورة الزمر 10

[7] الحديث رواه ابن ماجه جـ509/1 في كتاب الجنائز باب (55) ما جاء في الصبر على المصيبة رقم الحديث 1598 صحح هذا الحديث الألباني في صحيح ابن ماجه جـ267/1 وذكر أن له أصلاً في صحيح مسلم

راجعون" ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها ، يقول الله جل وعلا لملائكته : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد أو كما ثبت في الحديث"[8]

وعند تأملنا في هذين الحديثين اللذين وردا في تفسير هذه الآية {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ} ترى أن الله جل وعلا اكراماً لعبده المعترف بأنه خلق من خلق الله و أنه عائد إلى الله جل وعلا وأن ما أصابه بقضاء الله وقدره وأنه صابر على ما ألم به يكون جزاؤه إما عاجلاً أو آجلاً أو يكون جزاؤه عاجلاً وآجلاً ، ففي حديث أم سلمة "الجزاء العاجل" لأنها أخلفها الله بخير البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه "الجزاء الآجل" لبناء قصر في الجنة وبناء بيت يسمى بيت الحمد ، وما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصابرين في هذا الابتلاء ممن ابتلي بفقد بصره لأن الله جل وعلا يعوضه الجنة و من ابتلي بفقد بعض أولاده فإنهم يكونون له طُرقاً إلى الجنة ويقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون لا ندخل إلا بأهلينا أو كما جاء في الحديث [9] ، أو أن الله تعالى يجمع للعبد الصالح الأجر في الدنيا والآخرة وفضل الله تعالى واسع .

{ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ} وهذه الكلمة يا عباد الله يكررها الإنسان كلما ابتلي بمصيبة وكلما ذكر مصيبته إذا كان أصيب قبل سنوات كثيرة فذكر تلك المصيبة فليقل في وقته وإن كان قد فات وقتها يقول "إنا لله وإنا إليه راجعون" ، كما ورد في سنن ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"من ابتلي بمصيبة فذكرها و لو بعد عهدها فقال إنا لله و إنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها إلا آجره الله ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم"[10]

فلنحمد الله جل وعلا ولنتحلى بالصبر ولنردد دائماً إنا لله وإنا إليه راجعون ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

[8] الحديث رواه الترمذي في كتاب الجنائز باب (25) فضل المصيبة إذا احتسب رقم الحديث 1026

[9] أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز 57 باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده رقم الحديث 1604 بلفظ "ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل" وفي إسناد هذا الحديث

[10] رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز باب ما جاء في الصبر على المصيبة رقم الحديث 1600 هذا الحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه وقال عنه ضعيف جداً صفحة 121

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين ، أما بعد ...

فالصابرون المبشرون من الله جل وعلا هؤلاء هم الصابرون حق الصبر عندما يبتلوا ، ومن آداب الصبر أن يكون شاملاً للسراء والضراء ولهذا ورد أن الصبر على ثلاثة أقسام : صبر على طاعة الله ، صبر عن معصية الله وصبر على أقدار الله ، وفي الآية {وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ} أي المتحلون بالصبر في جميع أنواعه فهم يصبرون على ما يلحقهم من الأذى في سبيل أدائهم لطاعة الله جل وعلا ويصبرون على أداء الطاعة .

والصابرون عن معصية الله قد يكون دافع الشهوة في نفوسهم ولكنهم يصبرون ليخلفهم الله تعالى خيراً منها ، يخلفهم الله تعالى خير وكذلك إذا ابتلوا بشيء من المصائب من الخوف أو الجوع أو نقص من الأموال أو الأنفس أو الثمرات فيزرع فلا يحصل على ثمرة يصبر ليعوضه الله تعالى ويأجره وختمت هذه الآية الكريمة بقوله تعالى {أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ} .

وقد صح في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه عندما سمع هذه الآية قال "نعم العدلان والعلاوة" ، والعدلان هما جانبي الحمل على الراحلة والعلاوة أعلاها وفي هذه الآية العدلان قوله تعالى {أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ} فالصلوات عدل وهي من الله جل وعلا وعلى الثناء الحسن والذكر الطيب في الملأ الأعلى عندما يذكر الله تعالى عبده الصالح ويبشر ملائكته بما أعد له من البدل عندما أرجع الأمر إلى بارئه فقال "إنا لله وإنا إليه راجعون" ، والرحمة هي العوض واللطف به في الدنيا والآخرة فالله تعالى يرحمه ، ثم العلاوة الهداية من الله جل وعلا ، ونعمة العلاوة كما قال عمر رضي الله عنه فكلنا نسعى إلى هداية الله فنسأل الله تعالى أن يهدينا في جميع أمورنا وفي كل وقت نسأل الله تعالى الهداية ، الهداية بنوعيها هداية التوفيق بأن يوفقنا الله تعالى إلى ما يحبه ويرضاه وهداية الدلالة والبيان بأن يبين الله تعالى لنا الواضح وأن يوجهنا الله تعالى إلى ما يرضيه وهذا ما ندعوا به في كل وقت وفي كل صلاة {ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ}[11]

وقد بشرنا الله تعالى بأننا إذا صبرنا وأعدنا الأمر إلى بارئه وقلنا "إنا لله وإنا إليه راجعون" فالله تعالى سيخلفنا خيراً وسيرحمنا وسيذكرنا في الملأ الأعلى وسيوفر لنا الهداية التي هي أعظم مطلوب ،

ثم يا عباد الله من آداب الصبر أن يوطن الإنسان نفسه بأنه سيمر عليه شيء لا بد منه ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"من أصيب

---

[11] سورة الفاتحة 6

بمصيبة فليتذكر مصيبته به"[12] ، وأعظم مصيبة أُصبنا بها هي موت الرسول عليه الصلاة والسلام فكان أصحابه عندما يتذكرون هذه المصيبة يبادرون بالبكاء ، صح في الحديث أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما زارا أم أيمن التي ربت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا إليها وجداها تبكي فقيل لها : ما يبكيك وقد أعد الله لرسوله ما أعد من الأجر ومن الرفيق الأعلى ؟ ، فقالت : أبكي لأن خير السماء قد انقطع ، فهيجتها على البكاء .

ومن أجل هذا يا عباد الله من أصيب بمصيبة فليتذكر أنه قد أصيب غيره وأن كل واحد أمامنا الآن قد مرت به مصيبة في هذه الدنيا ولكن عليه أن يتحلى بالصبر لتحصل له البشارة من الله جل وعلا {وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ} .

وصلوا وسلموا على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فقد أمركم الله بذلك في كتابه حيث قال " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى عليه صلاة واحدة صلى الله له بها عشرا اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وخلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن آل بيته وعن سائر أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بمنك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وأكتب الصحة والسلامة والعافية لنا ولسائر المسلمين في كل مكان يا رب العالمين اللهم تب على التائبين وأغفر ذنوب المذنبين وأشفي مرضانا ومرضى المسلمين وأرحم موتانا وموتى المسلمين وعافي مبتلانا ومبتلا المسلمين يا رب العالمين اللهم أيد جنودنا المرابطين في كل مكان بنصرك وتأيدك اللهم اجعل جهادهم في سبيلك يا سميع الدعاء اللهم وفق إمامنا خادم الحرمين الشريفين سلمان بن عبد العزيز لما تحبه وترضاه اللهم أحفظه بحفظك و أكلأه برعايتك واجعل عمله برضاك يا رب العالمين اللهم ووفق نائبه وولي عهده وكل من أزرهما على الحق يا رب العالمين اللهم ووفق أأمة المسلمين في كل مكان للعمل بكتابك وسنة نبيك واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد أن هديتنا وهبلنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ربنا أتنا في الدنيا حسنه وفي الاخرة حسنه وقنا عذاب النار سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

---

[12] انظر عمل اليوم والليلة لابن السني 576 والكامل في الضعفاء لابن عدي 2056/6 وكنز العمال 6653 ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز 55 باب ما جاء في الصبر على المصيبة رقم الحديث 1599 عن عائشة رضي الله عنها بلفظ "يا أيها الناس أي أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليعتز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحداً من أمتي يصاب بمصيبة أشد عليه من مصيبتي" قال في مجمع الزوائد في اسناد هذا الحديث موسى بن الزبيدي وهو ضعيف وقال وتفرد بهذا الحديث ابن ماجه رحمه الله وهو حديث صحيح كما ذكر الألباني في صحيح ابن ماجه